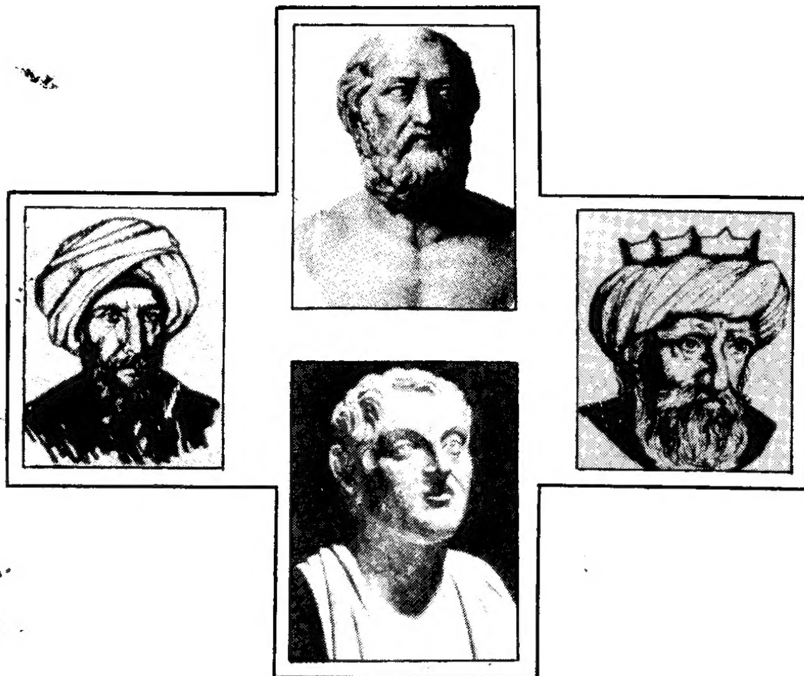
ديداكتيكية النص الفلسفي

عبد الرحيم تمحري
محمد الرويض

النظرية والتطبيقات



منشورات المجلة المغربية لعلم الإجتماع السياسي

القسم الثاني

النص ونظريات النص

تمهيد : يعتبر تحديد مفهوم "النص" بشكل عام سبيلا لتحديد مفهوم "النص الفلسفي" ومعاييره ذلك لأن :

* النص الفلسفي ينتمي إلى عالم النصوص قبل انتماءه إلى حقل الفلسفة .

* البحث في النص انطلاقا من مبادئ محددة أصبح يستقطب اهتمام كثير من المفكرين، حيث صار منطلق العديد من النظريات والمقاربات النظرية التي تسعى لتعريفه وفق مبتغيات نظرية كثيرة، ومن مختلف المرجعيات الثقافية والفكرية، ومختلف التخصصات خاصة اللسانيات منها.

إن هذا الوضع : تعدد الأراء وتضاربها، تقارب بعضها من بعض ليس فقط حول تحديد النص عامة بل وكذلك تحديد هوية النص الفلسفي ومعاييره، سيضعنا في مواجهة عدة صعوبات :

1 - في محاولة تحديد النص عامة

1 - 1 - لا يمكننا طرح وبسط كل نظريات النص ومناقشتها والوقوف على أهم ثوابثها بمنتهى الدقة والوضوح، لهذا فإن كثرة هذه النظريات حالت دون استثمارها كلها.

1 - 2 - لم يتم الحسم بخصوص حدود النص في علاقاته بالخطاب ومكوناته، لم يحسم النقاش حول ما يميز النص عن الخطاب[68].

فبينما نجد البعض من المنظرين يعتبرون أن الخطاب والنص يحملان معنى واحدا باعتبار أن النص حكي، نجد آخرين يميزون بين النص والخطاب دلاليا ويعتبرون النص هو الخطاب المكتوب.

---

68 - الخطاب Discours : المصطلح في أصله الدلالي يمكن أن يترجم بالكلام. وعندما يستعمل المصطلح في اللسانيات البنيرية

2 - في مجال تحديد النص الفلسفي : هويته / معاييره .

إذا كنا قد بيننا بعض الصعوبات التي جابهتنابصدد تحديد مفهوم النص، فإننا نواجه بصعوبات أخرى فيما يخص هوية النص الفلسفي ومعايير تحديده إذ هل ينبغي تحديدها انطلاقا من النص الفلسفي كمنتوج ؟ أم أن هذه المعايير ستنطلق من النص كمدرس ؟ أم ستنطلق مما هو فلسفي ومما هو تربوي معا ؟[69]

كيف نحدد إذن هوية النص الفلسفي، ما الذي يجعلنا نرسم خطوطا فاصلة بين هذا النص المسمى فلسفيا وغيره من النصوص.

إن مسألة هوية النص وتحديد معاييره ما تزال بدورها تكتسي طابعا إشكاليا، أضف إلى هذا أن كل الذين حددوا معايير النص الفلسفي انطلقوا أساسا من اعتبار النص الفلسفي كمنتوج لا النص الفلسفي المدرس والمقروء.

2 - 1 - التصور الأول للنص الفلسفي

يرى أهل هذا التصور[70] أن النص الفلسفي لم يستنفد مهمته التاريخية وحضوره التاريخي ويبرر هذا الحضور بالوقوف على مجموعة من المعايير تمكننا من رسم الحدود بين

= نعني به الكلام في حركية التواصل، أي اللغة التي يستعملها الأفراد. وهو في جوهره يعني الوحدة التي تساوي أو تفوق الجملة. غير أن الاستعمال الجاري به العمل في النقد الأدبي المعاصر وكذلك اللسانيات المعاصرة هو أن الخطاب يعني كل تعبير يتجاوز الجملة أو هو قائم على مجموعة من العلائق تربط بين الجمل. وعندما يحلل الخطاب تكون الجملة أصغر وحدة المتكلم في التحليل. وهنا لابد من الإشارة إلى الفرق بين الخطاب والحكي أو القول Récit فهذا الأخير يعتبر نقطة الصفرفي الحديث، يمكن أن يوجد بدون وجود كلام. إذن فالخطاب يعني لغويا الكلام، وبمعنى ثان فهو إخبار له بداية ونهاية وبهذا المعنى يرادف الحديث Enoncé . أما في المنظور اللساني المعاصر فإن الخطاب كل معطى يتجاوز الجملة ويتضمن مسكوتا عنه.

69 - من البديهي أن الأمر يتعلق هنا بتساؤل أكثر منه بقرار، لأن النصوص التي سنتقاربها ما هي إلا قطع Fragments مقتطفة من نصوص كبرى ocuvres . وكما يلاحظ فمشكلة علاقة الفلسفي بالبيداغوجي مشكلة شائكة، في هذا الصدد كنا أشرنا إليها عند : الشان التيجاني - عبد الجليل المعقول "سيكما باكلوريا"

70 - ذ مصطفى بلحمر "في النص الفلسفي" منشور في كتاب "ندوة استكمال تكوين أساتذة الفلسفة" ص :27 - 30

النص الفلسفي وغيره من النصوص (مثلا النص الأدبي) ويحدد هذه المعايير في :

1 - أ - النص الفلسفي نص فكري ملتحم التحاما وثيقا باللغة، إن ما يميز الممارسة الفلسفية هو الربط بين الفكر واللغة، فهذه الممارسة نشاط مزدوج المظهر فكري ولغوي .

1 - ب - رفض المعايير الخارجية والقبلية في تحديد النص الفلسفي من طينة :

* الفيلسوف / المؤلف : هذا المعيار لم يعد مقبولا - (النص الفلسفي يعرف بكونه يكتبه فيلسوفا) - في إطار النظريات الحديثة للنص التي تعلن عن موت وغياب المؤلف / الكاتب وبالمقابل حضور القارئ، بحيث الكتابة تضحية بالحياة إنها غياب وبالمقابل الكلام حضور. وهذا يجعلنا نرى أن النص الفلسفي هو الذي يشكل الفيلسوف وليس العكس.
فمثلا ابن سينا لا يكون فيلسوفا إلا عندما ننظر إليه من خلال نصوصه الفلسفية، ولا يكون طبيبا إلا عندما ننظر إليه من خلال نصوصه الطبية.

إن رفض معيار المؤلف يجعلنا نعثر على نصوص فلسفية في غير مؤلفات الفلاسفة .

1 - جـ - إذا كنا لا نطمئن إلى معيار المؤلف، فالأمر كذلك بالنسبة لمعيار اللغة الفلسفية، إذ لا يمكن الحديث عن لغة فلسفية بل يصعب جدا الاعتراف بوجود لغة فلسفية خالصة لكن في مقابل ذلك يمكن الحديث عن استعمال فلسفي للغة. وهذا يعني أن كل فيلسوف يشتغل على اللغة بإدخال علاقات دلالية جديدة وباستعمالات فلسفية مختلفة للغة داخل نصوص متعددة.

1 - د - إذا كان ما يميز النص الفلسفي هو استعماله الفلسفي للغة فإن هذا التصور لا يطمئن كذلك إلى معيار المفاهيم الفلسفية إذ الفلسفة لا تبني مفاهيم خاصة بها بقدرما تستعمل المفاهيم السائدة في خطابات أخرى. وربما قد يكون عملها منصبا أحيانا على إعادة النظر وإعادة تحديد المفاهيم السائدة في خطابات كثيرة، هذا الاستعمال لتلك المفاهيم يعطيها دلالات فلسفية جديدة من هنا لا يصح الحديث عن المفاهيم الفلسفية بوصفها مفاهيم بل بوصفها مفاهيم من الدرجة الثانية أو مفاهيم واصفة des méta - Concepts وبمعنى آخر إذا كانت

الخطابات الأخرى تبنى مفاهيمها الخاصة حول تجربة ما فإن النص الفلسفي يفكر ويتساءل حول تلك المفاهيم ويعيد إنتاجها.

1 - ر - إذا لم يكن الفيلسوف ولا اللغة ولا المفهوم معايير للنص الفلسفي فهل نستطيع القول بأن الموضوع الذي يتحدث عنه النص الفلسفي هو الذي يكسبه صفة الفلسفي ويرخص له بذلك ؟

ثمة قضايا تكاد تنال الاجماع على كونها فلسفية كقضايا الوجود - المعرفة - القيم - الانسان - الحرية - الجنس، لكننا لا نعتبر هذه الموضوعات حكرا على الفلسفة وحدها بل نجدها موضوعات خطابات أخرى.

إن ما يعطى للنص الفلسفي ميزته الفلسفية ليس الموضوع الذي يتحدث عنه بل قدرته على خلقه وصيانته لموضوعاته - عن طريق مفاهيم يحدد دلالتها - حسب الحاجة التاريخية لمنتجه، من موضوعات أخرى تختلف عنه فتصبح الطبيعة - الانسان - العلم - الحرية - الجنس كلها موضوعات له.

أين إذن يمكن القبض على النص الفلسفي ؟

أين تتجلى خصوصيته ؟ وما هي معاييره ؟

ينتهي هذا التصور إلى أن خصوصية النص الفلسفي ينبغي البحث عنها من داخل هذا النص ومن خلال عملية تشكله لأنها الامكانية الوحيدة التي تمكنه من تحديد هوية ومعايير النص الفلسفي كمنتوج لا كمدرس ومقروء.

إن ما يميز الممارسة الفلسفية هو اعتمادهافي تشكلها على مجموعة من الآليات ومنها :

* القول الفلسفي لا يمكن أن يكون أبدا تناقلا شفهيا بل هو تنصيص مكتوب ومثبت.

* القول الفلسفي قول تساؤلي : هذا يعني أنه يعتمد أسلوب الطرح الاشكالي .

ألم يقل آرسطو وأفلاطون أن التفلسف صدر من الدهشة وخلص هيدجر إلى أن

الدهشة تسري في كل خطوة من خطوات الفلسفة. ألم يكن التساؤل دليل شهادة ميلاد التفكير الفلسفي، ودليل انقلاب على التفكير الأسطوري .

* القول الفلسفي قول برهاني / حجاجي هذا يعني أن الفلسفة كانت دائما تفكيرا برهانيا وحجاجيا وجدليا.

«إن كل خطاب يكون حظه من التفلسف بحسب انتهاجه لأسلوب المناظرة والمحاورة، حيث تتم ممارسة خطابات "التهافت" و"التعارض" و"الرد" و"النقض" و"المصارعة" ....، وهي خطابات تتأسس استراتيجية التعبير فيها على "المجادلة" و"المناقشة" و"المساجلة" ....، وبكلمة واحدة على الأسلوب البرهاني الحجاجي»[71].

وقد ذهب البعض إلى أن الحجاجية والبرهانية أدى خصائص النص الفلسفي الذاتية والتي تمنحه أحقيته الفكرية.

* القول الفلسفي قول مفاهيمي، ولعل هذه الخاصية تعطي للنص الفلسفي الطبيعة الفلسفية المحضة النازعة إلى التجريد العقلي، تلك المفاهيم التي يتخذها قاعدة لمعالجة موضوعاته.

إن هذه الاليات الداخلية (أو المنطق الداخلي) تجعل النص الفلسفي يتميز عن مجموع النصوص والأقوال الآخرى،

إن هذه الآليات هي التي تحدد الأسلوب الخاص بالنص الفلسفي، وتبقيه في حيز = لايلتقي فيه مع أي أسلوب آخر من أساليب الفكر.

2 - 2 - التصور الثاني "للنص الفلسفي" ؟

هذا التصور[72] سينطلق من حجج أخرى يتداخل فيها ما هو تاريخي بما هو نصي، ويقف بالأساس على معاينة الفروق بين الأسلوب الفلسفي والأسلوب الأدبي، بين النص الفلسفي

---

71 - طه عبد الرحمان، أصول الحوار وتجديد علم الكلام المؤسسة الحديثة للنشر والتوزيع 1987 ص : 63 - 64

72 - الفكر العربي ع 46 سنة 1987 عنوان المقال "البلاغة والفلسفة".

والنص الأدبي كنموذج منطلقا من المسلمة التالية :

فكما أنه توجد أبعاد أدبية وتخييلية في كل خطاب فلسفي توجد خصائص فلسفية في كل نص مصنف على أساس أنه أدبي وإذا سلمنا بهذه المسلمة أمكننا أن نشيد التصور التالي :

* إن ما يجعل من الفلسفة نقيضا للأدب هو أن العلاقة بين الفلسفة والبلاغة علاقة مستغربة. إن البلاغة تعتبر أداة للأدب كما أن للفلسفة أداتها وهي المنطق. إن جعل الأدوات من لوازم المادة زاد المشكلة تعقيدا ومن هنا كان هم طالب الفلسفة البدء بتعلم المنطق والبرهان هذا ما قررته التعاليم التقليدية الفلسفية اليونانية، أما طالب الأدب فعليه تهذيب لسانه.

* إن تاريخ الفلسفة يفند هذه القناعة، فنقط الوصل واضحة تماما كلما درسنا ما يعرف بـ "الأدب الفلسفي" فالأبحاث الفلسفية الأولى لدى الإغريق صيغت شعرا، والفكر العربي الفلسفي لجأ مرارا إلى لغة الشعر وإلى صورها المليئة بالصور البيانية التي تعتبر عُدّة البلاغي.

فابن سينا كتب قصصا فلسفية وقصائد شعرية، وحذا حذوه ابن طفيل في حي ابن يقظان، كما تجدر الإشارة إلى الأدب الصوفي، واعتماد أسلوب الخطابة مع السفسطائيين.

إذن فإذا كانت المدارس الفلسفية الحديثة تقلل من العلاقة بين الفلسفة والأدب، فهذا مثلا ريشنباخ يعتبر أن لا علاقة للفلسفة بالشعر، فالفلسفة للمعاني عن طريق التحليل المنطقي ولا مكان فيها للغة المجازية أو اللغة الشعرية وصورها وللتخييل. إن هذا الفصل تعسفي كما يثبت تاريخ الفلسفة.

واضح أن الهدف من طرح هذه الصعوبات هو التأكيد على الطابع الإشكالي الذي تكتسيه مسألة تحديد النص عامة و"النص الفلسفي" خاصة.

وأمام ضرورة تحديد النص عامة، وهوية النص الفلسفي خاصة أمام هذا وذاك وبهدف تذليل تلك الصعوبات ترددنا بين أمرين :

إما الوقوف على نظرية واحدة (مثلا الوقوف على نظرية فيلسوف المعنى بول ريكور) فهم مبادئها العامة والخاصة ثم تطبيقها على النص. ابتعدنا عن هذا الاختيار، لأن النص فائض المعنى، متعدد الدلالات، والحالة هذه لا وجود لأية نظرية استطاعت صياغة نظرية شاملة ومطلقة حول النص عامة بل تصورها وطريقة مقاربتها للنص إذ تركز على جوانب تهمل جوانب أخرى. إن معادلة التركيز / الاهمال أبعدتنا عن هذا الاختيار، إلى جانب أنه أحادي الجانب ونظرته للنص ذات بعد واحد، ونحن نعترف بقصور العين الواحدة، والنظرة الواحدية البعد.

فأدى بنا هذا إلى اختيار الطريق الثاني وهو طرح وتناول بعض النظريات وفق ما يسمح لنا به تصورنا الذي سيتحكم في اختيارها وتأطيرها، ويساعدنا على إبراز ما نهدف الانتهاء إليه بخصوص النص عامة والنص الفلسفي خاصة وأشكال مقاربته أو بعض القواعد المنهجية العامة لمقاربته، قواعد منهجية حديثة حداثة النص الفلسفي بالمغرب وفي مؤسستنا الوطنية.

3 - النص ونظريات النص :

3 - 1 - نظرية جوليا كرستيفا

تنظر جوليا كرستيفا Julia Kristeva إلى النص على أنه :

«جهاز عبر لساني Translinguistique **يعيد توزيع نظام اللسان** Langue **عن طريق ربطه بالكلام** Parole **التواصلي هادفا بذلك إلى الإخبار المباشر، مع مختلف أنماط الملفوظات السابقة والمعاصرة»**[73] بهذا التعريف يتحدد النص كإنتاجية، وهذا يعني أن علاقة النص باللغة التي ينتمي إليها هي علاقة توزيعية تقوم على الهدم والبناء وهذا يتطلب منا معالجته من خلال مقولات منطقية، لا الاقتصار على المقولات اللسانية، هذا من جهة ومن جهة أخرى يعتبر النص تبادل نصوص أي "تناصا". «إذ في فضاء النص نجد عدة ملفوظات مأخوذة من عدة نصوص تتقاطع وتتحايد»[74]

ان النص إذن وحدة قابلة للتوليد، وعليه يغذو النص منحدرا من نص آخر أو مقيما لعلاقات مع نصوص متعددة وسابقة عليه من جهة، ومستعد للتأثير هو الأخر في نصوص لاحقة .

يعتبر النص إذن أشلاء نصوص أي تناصا أو هو :

« فسيفساء من نصوص أخرى أدمجت فيه بتقنيات مختلفة، ممتص لها، يجعلها ويصيرها منسجمة مع فضاء بنائه ومع مقاصده، محول لها بقصد مناقضة خصائصها ودلالتها أو بهدف تعضيدها ... فالتناص هو تعالق نصوص مع نص حدث بكيفيات مختلفة»[75] كما يصيغ ذلك محمد مفتاح .

التناص[76] بعد نصي - والعمل الفلسفي خارج التناص يصبح ببساطة غير قابل للإدراك -

73 - Kristeva : Recherche pour une Sémanalyse Ed. Seuil 1969 P. 52 - 53

74 - نفس المرجع السابق ص 52 - 53

75 - محمد مفتاح = تحليل الخطاب الشعري .. استراتيجية التناص ص : 121. -

76 - التناص : من وظائف هذا المفهوم أنه أعاد النظر في ذات الكاتب، ويتجلى هذا مثلا في قراءة "لاكان لفرويد" والتوسير

التناص ظاهرة وجودية داخل النصوص لا مفر للمبدع منها، إذ لايمكن تصور نص معزول عن النصوص السابقة، بل هو يشتغل منفتحا على هذه النصوص السابقة عن طريق التحويل Transformation، أو التضمين ، أو النقل أو المغايرة.

إن النصوص السابقة تمارس نوعا من السلطة على النصوص اللاحقة إثر ترسبها في لا وعي المبدع، فتتحول بذلك إلى شبه رموز تتحين الفرصة لتتسرب إلى أعماله ومن هنا نذهب إلى أنه لا يمكن بالتالي التوصل أو اكتشاف المعنى إلا باكتشاف العلاقات التي يربطها بنصوص أخرى.

إن كل نص يمتلك جينيالوجيا Généalogie خاصة وعلاقة نسب ودم معينة .

التناص قدر كل نص[77]، هذا يعني صعوبة تصور نص ما في غياب تفاعله واحتوائه، كما يعني كذلك رفض مغالطة معرفية تتصور النص كوجود مستقل ومغلق، ومكتف بذاته .

إذا كان التناص قدر كل نص، وإذا كان التناص هو تعالق النصوص بعضها ببعض فكيف تتعالق هذه النصوص وكيف يستوعب المتناص النصوص الأخرى ؟ يجيب طه عبد الرحمان بالنسبة للتعالق بمايلي :

«وتتعالق النصوص على طريقتين :

1 - طريقة ظاهرية يعرض فيها المحاور شواهد من أقوال الغير مثل "النقل" و"التضمين" و"الحكاية" و"العنعنة" و"الشرح" و"الاقتباس" و"التعليق" .. وهلم جرا.

= لماركس.. كما أتاح هذا المفهوم الانتقال من الشفرة اللسانية إلى السيميوطيقا، ومن الدليل signification إلى التدليل signifiance الذي يعتبر موضوعا للسيميوطيقا. إذن مفهوم التناص مفهوم نقدي للمفهوم السوسوري للدليل بحيث التدليل هو توليد : توليد نسيج اللغة، وتوليد "الأنا" الذي يجعل نفسه في موقع تقديم التدليل، هذا من جهة ومن جهة ثانية فالسيميوطيقا لا تهتم بوسائل التعبير المتقبلة في مجتمع ما بل تهتم بالروابط غير التعاقدية .
هذا المفهوم صار بؤرة تولدت عنه مصطلحات عديدة تدور حول النص من مثل : - génotexte - phénotexte - métatexe - infratexte - archytexte ... إلخ .

77 - نشير في هذا الصدد أن قدر النص الفلسفي من التناص أكثر من النصوص الأخرى، إذ النص الفلسفي ينفتح على نصوص فلسفية وغير فلسفية. علمية - أدبية - دينية - أسطورية -)

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا الصنف من التناص قد يكون أقرب إلى"التفارق" منه إلى "التعالق" حيث لا يذكر المحاور قول الغير للاعتراض عليه، وإنما لحصر مشاركة هذا الغير في تكوين النص، بل للقطع معه وإظهار انفراده هو بهذا التكوين .

2 - طريقة باطنة : ينشئ بها "المحاور" نصه عبر نصوص سابقة مماثلة أو مباينة، ويفتح بها آفاق نصوص أخرى مكملة أو مبدلة، فيصطبغ عندها النص بصبغة "المغايرة" الصميمية»[78].

إذا كان الأمر هكذا بالنسبة للتعالق فإن استيعاب المتناص للنصوص الأخرى يتم عن طريق التحويل، حيث النص / الحدث يصير تلك النصوص الأخرى منسجمة مع فضاء بناء النص، كما أن التحويل يعطي للنص ويطبعه بطابع الديناميكية والصيرورة، إذ عملية الاحتواء والدمج لا تتم بطريقة آلية وإنما عبر عملية التعديل حتى تنسجم مع فضاء النص ومع مقاصده .

- أو عن طريق التضمين كما يسميه Arrivé أو عن طريق الامتصاص والتحويل كما يسميه "تودروف".

وانطلاقا من هذا التحديد الذي يتجلى فيه النص كإنتاجية تبين كرستيفا أن النص يتكون من 3 بنيات : بنية دلالية – بنية نصية – وبنية ثقافية والعلاقات بين هذه البنيات هي علاقات فعل تفاعل وصراع أي علاقات إنتاجية وبحسب هذه الخصوصية التي يتميز بها النص والتي تجعله ينفلت من تقنيات اللسانيات البنيوية، فإن هذا يستدعي ميلاد علم جديد كفيل بوعي هوية النص، وخلق مقولات وتقنيات تامة الجدة وهذه هي مهمة علم التحليل الدلالي sémanalyse أي "نظرية الدلالة النصية" وهو علم يقدم أحيانا باعتباره جزءا من السيميوطيقا وأحيانا أخرى كشيء مطابق لها.

هذا العلم سيسعى لادراك جدلية الطريقة التي تتم بها الدلالة بوصفها تغتني في آن

78 - الدكتور طه عبد الرحمان في "أصول الحوار وتجديد علم الكلام" ص : 41 - 42

واحد بالفاعل المتحدث، بالآخر، وبالسياق الثقافي الاجتماعي هذه المسألة تعد على كل حال بفهم أفضل لعلاقة النص بالتاريخ، كما تعد باكتشاف الرموز المعلنة والخفية.

إذن هذا العلم التحليلي الدلالي sémanalyse ينطلق من اللسانيات باعتبار النص ينتج من خلال اللغة ويستفيد من التحليل النفسي - ومن المنطق ومن العلوم الاجتماعية، وبحسب هذه الاستفادة يتم تجاوز التحديد التقليدي الذي يفصل النص كدليل إلى دال ومدلول، وهذا الدليل بمعناه التقليدي وحدة منغلقة هذا الانغلاق يوقف المعنى ويمنعه على أن يكون متعددا ومنفتحا.، وبهذا يصير النص ليس بنية وإنما إنبناء حيث أن النص تناص.

وحين يتحدد النص كتناص، فإن عملية رصد النصوص التي تسكن فضاء النص / المحتوي قد تكون عملية متعبة حيث التناص يشتغل بشكل مستتر فيكون بالتالي رابضا مختفيا وراء امتدادات الكثافة المتحققة داخل النص، فلا يكشف عن وجوده بسهولة مما يتطلب التنقيب المتأني والصبر عبر الحفر في طبقات النص، لأن كل مبدع كما سبقت الإشارة أعلاه «**معرض لرعب التأثير ومن ثم فهو معرض لـ "عقدة أوديب" حقيقية، هذه العقدة تدفعه إلى السير على منوال النص السابق أو التمرد عليه**»[79]

إذن لكي يحقق النص / الابن شخصيته وتفرده ثم نضجه عليه أن يقتل النصوص / الأبوية، أن يتمرد عليها فيتحول من هنا إلى أصل منه تنحدر أجيالا / نصوصا جديدة .

إن الكشف على التناص داخل النصوص هو حركة في اتجاه عمق النص، كما أنه اعلان على أن النص مؤسس على علاقات التوتر والتفاعل .

3 - 2 - نظرية الفيلسوف بول ريكور :

يموقع "ريكور" محاولته تعريف النص ضمن إشكال ابستمولوجي ويتعلق بالأساس بالجدال الحاد والمجابهة القوية بين موقفين متعارضين بصدد مسألة النص موقف التفسير

---

79 - لوران جيني "البويطيقا "Poétique Ed. Seuil 1976 p. 258 - 259

وموقف التأويل[80] : التفسير يرتبط بالعلوم الحقة والتأويل يتصل بالعلوم الفكرية / الذهنية .

حاول ريكور إبراز أن التفسير لم يعد متصلا فقط بالعلوم الطبيعية، إذ أصبح من الممكن إنجازه مع اللسانيات، كما أن التأويل مع الهيرمنوطيقا الحديثة ابتعد عن البعد الذاتوي الذي كان يطبعه مع الفهم أي تحرر من الاشكالية السيكولوجيا ليرتبط بإشكالية اللغة. من هذا المنطلق سعى ريكور إلى إقامة "نظرية للنص" انطلاقا من الهيرمنوطيقا ، ومنه أيضا يعرف النص بأنه «**كل خطاب مثبت بواسطة الكتابة، إن التثبيت بالكتابة هو مكون للنص نفسه، وإن كل كتابة كانت أولا - على الاقل على مستوى إمكاني - كلاما. وإن الكتابة باعتبارها مؤسسة تتلوا الكلام الذي تبدو فيه موجهة لتثبيت - من خلال كتابة خطية كل التمفصلات التي ظهرت في الشفوية**»[81]

في ضوء هذا التحديد : النص هو كل حديث جعلته الكتابة ثابتا ، فالتثبيت بواسطة الكتابة يشكل النص بالذات .

لكن ما هو الذي يثبت بواسطة الكتابة ؟

ماتثبته الكتابة هو إذا حديث كان بالإمكان قوله بالطبع، ولكن بالضبط نكتبه لأننا لا نقوله. فالتثبيت بواسطة الكتابة يأتي مكان الكلام بالذات. فالكتابة هي التي تميز بين النص والكلام الشفاهي، كما بين النص والخطاب. إذ الكتابة هي التي تشكل تحقيق اللغة في النص، ومن هنا فإن النص خطاب من حيث كونه تحقيقا للغة في النص وهو تحقيق وتتميم مواز للكلام، تتميم وتحقيق يقوم مقام الكلام وبطريقة ما يحجبه، لذلك فما نسجله بواسطة الكتابة ليس هو

---

80 - يتعلق هذا الاشكال بالوضعين الأساسين اللذين طرحهما ديلتي Dilthey وهما التفسير والتأويل :
ان التفسير حسب ديلتي يتصل بالعلوم الحقة أما التأويل فشكل مشتق من الفهم يرتبط بالعلوم الذهنية. منطقة الطبيعة تتناول المواضيع الممكن مراقبتها والخاضعة منذ غاليلي لعملية الرياضيات. أما منطقة النفس فهي مجال الفرديات السيكولوجيا. ان للفهم عند ديلتاي بعد ذاتوي داخلي، بمعنى أنه ارتبط بالاشكالية السيكولوجيا وظل سجينها ولم يرتبط بإشكالية اللغة. أو أن التأويل ليس سوى الانتقال داخل الحياة النفسية للغير .

81 - بول ريكور Paul Ricoeur "Du texte à l'action" Essais d'herméneutique II coll Esprit / seuil 1986 P. 137

الكلام وإنما قصد الكلام معناه ومحتواه .

إن الكتابة هي تسجيل مباشر لهذا القصد ونية القول. لكن شيئا هاما يحدث حينما يحل النص محل الكلام فالنص بما أنه مكتوب يستدعي قارئا لا مستمعا - فالنص رسالة من الكاتب إلى القارئ، والاتصال بين الكاتب والقارئ إنما يتم عبر النص، تماما مثلما أن الاتصال بين المتكلم والسامع إنما يتم عبر الكلام أي عبر إشارات صوتية، وكما يسهم السامع في تحقيق هذا الاتصال الكلامي يساهم القارئ بدوره في تحقيق الاتصال الكتابي عبر النص، أي أن المعنى الذي يحمله النص هو من إنتاج الكاتب والقارئ - وبذلك ترتبط الكتابة بعملية القراءة وتجعل النص مختلفا عن الكلام الذي نجد فيه العلاقة بين المتكلم والمستمع مباشرة.

ان الكاتب يصبح موجودا من خلال النص بما أنه مسجل بواسطة الكتابة، ويصبح الوضعان المنطلق منهما التفسير والتأويل من انتاج القراءة.

قلنا أعلاه أن الكتابة تستدعي فعل القراءة، لكن لا يكفي أن نقول أن القراءة حوار مع المؤلف بل يجب القول أن علاقة القارئ بالكاتب علاقة من طبيعة مخالفة لذلك تماما، فالحوار هو تبادل للسؤال والجواب في حين أن مثل هذا التبادل ينعدم بين الكاتب والقارئ.

إن القراءة تبدأ فعلا حينما يتوقف المؤلف نهائيا عن الاجابة، عندما يموت. ان الكتابة هي مسألة فتح فضاء لا تكف الذات الكاتبة فيه عن الاختفاء ومن هنا القرابة بين الكتابة والموت، إذ الكتابة تتصل بالتضحية، التضحية حتى بالحياة.

إن استقلال النص وتحرره من الدائرة الشفاهية يخلق انقلابا حقيقيا، يمس كلا من العلاقات التي تربط بين اللغة والعالم. وقد سبق أن لاحظنا شيئا من هذا الانقلاب حينما ميزنا القراءة عن الحوار والآن يجب علينا أن نذهب إلى أبعد من ذلك بالانطلاق هذه المرة من الانقلاب الذي يمس العلاقة الإحالية (المرجعية) للغة على العالم حينما يحل النص محل الكلام .

ففي حالة الحوار الشفوي يكون المتحاورون حاضرين بالنسبة لبعضهم البعض، إضافة إلى وجود وضعية خاصة يتم فيها التحاور (السياق) الأمر يختلف حينما يحل النص، الحوار

يتوقف هذا التبديل حيث الكتابة تحل في المكان ذاته الذي ينتفي فيه الحوار هو جَلِيٌّ لدرجة أنه عندما نلتقي كاتبا ونخاطبه (مثلا نكلمه عن كتابه) ينتابنا شعور باهتزاز عميق بالنسبة لهذه العلاقة الخاصة جدا بيننا وبين الكاتب مع مؤلفه. إن قراءة كتاب هو اعتبار مؤلفه قد مات والكتاب وضع بعد الموت.

إن النص دون مرجعية، وستكون بالضبط مهمة القراءة باعتبارها تأويلا تحقيق المرجعية. فالنص بطريقة ما في الهواء خارج / وبدون العالم، إذ كل نص له الحرية بالدخول في علاقة مع كل النصوص الأخرى التي تأتي لتحل مكان الواقع الظرفي. تلك العلاقة من نص لآخر تنجب شبه عالم النصوص هذا هو الانقلاب الذي يعتري النص بالذات.

قلنا إن المؤلف يموت بمجرد كتابته لنصه، حيث ينتقل هذا الأخير عن قصد مؤلفه ليدخل في علاقة مع قارئه فالقراءة هي التي تعطي دلالاته كما تحقق له مرجعيته أي عالمه وبذلك يتم تجاوز الجانب السكوني للنص بتحويله عن طريق التأويل إلى أن يأخذ سيرة نحو مشرق النص وقصديته، يغذو تناصا[82] وإذا حاولنا أن نجمل تصور ريكور للنص قلنا أن :

1 - النص كل كلام جعلته الكتابة ثابتا، والكتابة هي على النقيض تماما من الكلام تتجسد عبر نظام مادي من العلامات بينما يقتصر الكلام على الصوت.

2 - انفصال النص عن ذاتية مؤلفه ومقصديته وانفتاحه على ذاتية القارئ ومقاصده لأن النص ليس مغلقا على ذاته .

3 - ارتباط النص بعالم النصوص

4 - النص ليس غاية في ذاته بل يتوسط علاقة الذات بذاتها. إن ريكور استثمر في هذا الاطار كل أنواع النقد الفلسفي التي وجهت للكوجيطو الديكارتي، النقد الفرويدي، النيتشوي والماركسي، هؤلاء الثلاثة بددوا أوهام الوعي وشككوا فيه، وأجمعوا على أن الذات

---

82 - إن النص الفلسفي يقبل الانفصال عن قصد مؤلفه بما أن المعنى الذي يضمنه الفيلسوف لنصه لا يكون معنى وحيدا والدليل على ذلك تمكن الفلاسفة مثل – الفارابي من قراءة (تأويل خاص) لنص أثولوجيا أفلوطين. كما قرأ المفكر المسلم النص الفلسفي اليوناني لكن قراءتهم لم تكن واحدة، لم ينظروا إليه من خلال عالمه اليوناني بل من خلال عالمهم وذواتهم.

لا تمارس وجودها إلا من خلال فضاء رمزي دلالي. وهكذا يصبح النص كوساطة لفهم الذات.

إن الخطاب إذن ينتج باستمرار، ولا يتوقف بموت كاتبه ولهذا يدعو "ريكور" إلى الكتابة بدل الكلام وهي نفسها دعوة صديقه "جاك دريدا" J. derrida الذي يدعو للكتابة باعتبارها غيابا، ويرفض الكلام باعتباره حضورا، يدعو للكتابة لانطوائها على صيرورة البقاء بغياب المنتج الأول، في حين يتعذر ذلك بالنسبة للكلام إلا في نطاق محدود ظهر حديثا بفضل شرائط التسجيل الصوتي. فالمعاني والدلالات حسب دريدا تتحقق من خلال **الاختلاف** المتواصل في عملية الكتابة والقراءة.

4 - تركيـب :

من خلال بسطنا لرأيين حول النص بصفة عامة وحول النص الفلسفي ومعاييره بصفة خاصة، أمكننا من خلال البحث في هذه الآراء تكوين تصور محدد حول النص عامة والنص الفلسفي خاصة كمرحلة أولى. وكمرحلة ثانية تحديد مجموعة من القواعد المنهجية في انسجام تام مع تصورنا وتحديدنا للنص عامة والنص الفلسفي خاصة – لمقاربة النصوص الفلسفية. وان هذه القواعد المنهجية التي سنقترحها تنطلق بالأساس من استلهام آراء كرستيفا والاستفادة من الهيرمنوطيقا باعتبارها أصلا طريقة لقراءة النصوص والتي تتشكل عبر محطتين أو مرحلتين مرحلة التفسير ومرحلة التأويل .

4 - 1 - في سبيل تحديد النص

«النص بنية تنتجها ذات، ضمن بنية نصية منتجة، وفي إطار بنيات ثقافية واجتماعية محددة»[83] يتكون هذا التحديد من عنصرين أساسيين :

1 - العنصر البنيوي ويتضمن ثلاثة بنيات :

أ – بنية دلالية ومعناه أن النص دليل يستوعب دالا ومدلولا ومن خلالهما معا يتضمن بنية صرفية وأخرى نحوية. الانطلاق هنا من اللسانيات باعتبار أن النص ينتج من خلال اللغة .

ب – بنية نصية بمعنى أن النص يتم إنتاجه ضمن بنية نصية كبرى، تتعدد فيها النصوص وتتقاطع وتتداخل وتتعارض. وعلاقة النص بهذه البنية النصية الكبرى علاقة صراعية / تفاعلية .

ج – بنية ثقافية واجتماعية تسمح بموقعة النص في نص شامل : الثقافة، بحيث أن النص ينتج في إطار هذه البنية الثقافية والاجتماعية .

83 - سعيد يقطين : انفتاح النص الروائي "النص – السياق" ص 32 - 33

2 - **العنصر الانتاجي** : فالعلاقات بين هذه البنيات علاقات فعل وتفاعل أي علاقات إنتاجية، ومن خلال هذا التفاعل نجدنا أمام انفتاح النص وتفاعله مع نصوص أخرى وبنيات أخرى ثقافية واجتماعية .

إذا كان هذا التحديد للنص صالحا لأي نص كيف ما كان نوعه وأسلوبه، فمن الضروري تجسيد وتشخيص هذا النص بمعناه العام والمجرد في إطار نوع وأسلوب معين من الأنواع النصية هو "النص الفلسفي".

4 - 2 - في سبيل تحديد النص الفلسفي وطريقة مقاربته

2 - 1 - إننا في الوقت الذي نسعى فيه للقيام بتعريف دقيق بخصوصية ما هو فلسفي نظل عاجزين عن التنظير للفارق بين تساؤل وتفكير فلسفي وبين تساؤلات أخرى ليست كذلك. إن كل محاولة للقيام بجرد كلي للخصائص والمميزات التي تحدد الممارسة الفلسفية غالبا ما تعترضها مشاكل بالرغم من مشروعيتها مشاكل منهجية تعود في أساسها إلى تنوع وتعدد للانتاجات الفلسفية وطبيعة توجهاتها واستراتيجياتها العامة.

من هنا وعليه فإن كل محاولة تسعى إلى تحديد هوية النص الفلسفي ومعاييره ينبغي لها أن تنطلق من :

* كون أي حديث عن معايير تحديد النص الفلسفي تبقى معاييره نسبية .

* إن كل الذين يحددون هذه المعايير : التساؤل استعمال المفاهيم - العقلانية - البرهانية فإن هذه المعايير لا تخلو من إشكال وإنها لا تصدق سوى داخل تقليد فلسفي معين.

* كون أي حديث عن المعايير ينبغي عليه أن يميز بين النص الفلسفي كمنتوج والنص الفلسفي كمقروء ومُدَرّس ، اللهم إذا استثنينا النص الفلسفي الكامل "Texte intégral" لحي ابن يقظان لصاحبه "ابن طفيل" الذي تقرر تدريسه للسنة الثانية أدبي .

وبمعنى آخر إذا كان الأمر يتعلق بالنص الفلسفي كمنتوج فإن معايير التحديد تختلف

إذا كان الأمر يتعلق بالنص الفلسفي المدرسي فالمعايير في هذه الحالة تتحدد حسب موقع النص من الاشكالية العامة التي ينخرض تحت سقفها .

هناك إذن معايير تنظيرية وهناك معايير تربوية. وكما يلاحظ فمشكلة علاقة الفلسفي بالبيداغوجي والمؤسسي تبقى مسألة شائكة لابد من أخذها في الحسبان.

بعد هذه الملاحظات يمكننا أن نحدد النص الفلسفي باعتباره أولا لا يمكن أن يكون أبدا تناقلا شفهيا ، بل هو تنصيص مكتوب ومثبت بواسطة الكتابة .ويتكون من بنية دلالية / سيمانتيكية مفاهيمية، وبنية نحوية وصرفية، ويتفاعل نصيا ، ونوع هذا التفاعل التناص، وقد يكون شكل هذا التفاعل داخليا أو خارجيا وذلك بوضع النص في سياقه النصي ثم بعد ذلك في سياقه التاريخي كنص مفتوح على الزمان.

4 - 3 - طريقة مقاربة النص الفلسفي

إن كل منهجية لمقاربة النصوص الفلسفية هي بالضرورة منهجية مؤقتة، نسبية الصلاحية، مرنة فمهما بلغت قيمتها تبقى قابلة للتعديل والتطوير. إن الوصول إلى منهجية متكاملة لمقاربة النصوص الفلسفية أمر عسير ، وعلى الرغم من وجاهة بعض التحفظات فإننا سنحاول صياغة مجموعة من القواعد تستفيد كما قلنا من نظريات النص، ومن مجموعة من المناهج النقدية الحديثة وخصوصا اللسانيات والسيميولوجيا بالرغم من أنه واجهتنا في هذا الصدد صعوبات ابستمولوجية تمثلت أساسا في المدرسة اللسانية التي سنختار ونوع المقاربة اللسانية أهي السيميولوجيا ؟ أهي التداولية ؟

اخترنا الانطلاقة من اللسانيات رغم هذه الصعوبات رغبة منا في تغيير عادات التحليل، رغبة منا في التجديد، رغبة منا في التحرر من الطريقة التجريبوية والسكونية التي تجمدت داخلها النصوص الفلسفية.

من هنا ، فإن مقاربة النص الفلسفي يمكن أن تنجز وفق القواعد والاجراءات المنهجية الخمسة الآتية :

I - المستوى الإشكالي :[84]

* تقديم النص بموقعته ضمن محاور المقرر.
* تحديد إشكالية النص في علاقتها بالدرس.

II - المستوى الدلالي :

* تحديد بنية النص الدلالية انطلاقا من لغته ومفاهيمه .
* فتح دلالات النص على معانيه العميقة .

III - المستوي التناصي :

* تحديد جنس التناص (تاريخي - ديني - علمي - فلسفي ...)
* تحديد شكل التناص (داخلي - خارجي - معاصر - غير معاصر ...)
* تحديد آلية التناص (معارضة - نقد - تحويل - تضمين ...)

IV - المستوى التأويلي :

* الكشف عن مقصدية النص.

V - المستوى النقدي - التقييمي :

* الكشف عن منطق النص الداخلي والخارجي.

84 - سنشير إلي المستوى الإشكالي داخل القسم التطبيقي بعبارة : «تقديم النص»، على اعتبار أن تقديم النص الفلسفي لن يكون إلا إشكاليا !

الايداع القانوني 359 / 1993
ISBN 8-03-847-9981

مطبعة المعارف الجديدة
زنقة الرعاء — الحي الصناعي
الهاتف : 7947 08/09/15
الرباط